دورة عقائدية مُختصَرة تتحدَّث عن أهَم المطالب العقائدية التي يَجب على الشيعي و المؤمن أن يعتقد بها و أن يكون مُحيطاً و عارِفاً بِدقائقها و لو بِشَكلٍ إجمالي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله و الصلاةُ على رسولِ الله و آله آل الله , و اللعنُ على أعدائهم و أَعداء شيعتهم أعداء الله إلى يومِ لقاء الله .

في الدرس المتقدم وصل بنا الكلام إلى الشروع في اول مبحث من مباحث العقائد و هو التوحيد , و اول مسألة و اول كلام نَذكرُه في هذا المبحث ما يتعلّق بِوجوده سبحانه و تعالى .

ذكرتُ في ليلة البارحة دليل المتكلّمين و هو قولهم : انّ العالَم مُتغيّر فَهو حادِث و لا بد لِكُل حادث من مُحدِث قديم ليس بِحادث _ و قلتُ انّ الفلاسفة قالوا : انّ هذا البرهان او هذا الدليل انطلقَ من المخلوق إلى الخالق , هذا من جهة , و من جهة ثانية يحتاج إلى تكملة لأنّ نتيجة هذا البرهان انّه لِهذا العالَم مُحدِث قديم و لم يُبَيِّن هذا البرهان انّه هو الواجب الوجود لِذاته كما يقول ذلك الفلاسفة _ و الكلاميون يرَون حُسناً في دليلهم هذا _ انّ دليلَهُم هذا ميَّزَ بين العالَم و بين الله , لأنّهم قالوا العالَم متغيّر و هو محدَث و هكذا فالعالَم هو غير الله بِخلاف الدليل الفلسفي الذي يحتاج إلى بيان آخر , إلى برهان آخر يكون تبعاً للبرهان الفلسفي في انّ العالَم غير الله سبحانه و تعالى .

و ذكَرنا كذلك ادلّة الحُكَماء الطبيعيين و بيّنتُ معنى المراد من الحُكَماء الطبيعيين , يعني الفلاسفة الذين تخصَّصوا في دراسة الجنبة الطبيعية من الفلسفة , الجنبة الفيزيقية باصطلاح الفلاسفة , و ذكرت ادلَّتهُم , الدليل الاول : دليل الحركة و السكون , انّه هذه الموجودات , هذه المخلوقات متحرّكة فلا بد لها من مُحرِّك ساكن و بيَّنّا مسألة

بطلان الدور و التسلسل سواء في البرهان الكلامي او في هذا البرهان الذي يقول به الحُكّماء الطبيعيون .

و البرهان الثاني : مسألة التركيب و البساطة , انّ هذه المخلوقات , هذه الموجودات مركَّبة فلا بد لها من بسيط هو الذي بعثَ فيها هذا التركيب و هو الذي ركَّبَها و الكلام ايضا ينتهي إلى بطلان الدور و التسلسل فلا بد من بسيط هو الذي كان علّة في هذا التركيب في هذه الكائنات .

و البرهان الثالث : الذي ذكَرناه ايضا بِشَكل موجز , برهانهم في مسألة انّ هذه المخلوقات الجسمية الموجودة في عالَمنا , هذه الاجسام , هذه الاجرام تشترك في الجسمية _ و قُلنا معنى الجسمية ما هو : انّه القابلية على القسمة في الابعاد الثلاثة , يعني هذه الموجودات , هذه المخلوقات المحيطة بنا , التي نراها و تعيش معنا و حولنا كلّها تشترك في الجسمية إلاّ انّها متمايزة و هذا التمايُز الموجود فيها بِسَبب النفوس الموجودة فيها لكن لا يعني انّ النفوس هي التي ولَّدتْ التمايُز , فلا بد من مُرَجِّح رجَّح بعض هذه الموجودات على غيرها و المرَجِّح بالنتيجة هو الله سبحانه و تعالى كما بيَّنّا الكلام . لأنّه ايضا يأتي الكلام , نقَع في دائرة مسألة التسلسل او مسألة الدور و هذه باطلة كما قُلت , و بطلان هاتَين المسألتَين من البديهيات الفلسفية , في كتُب الفلسفة بُحِثَتْ هذه المسألة , مسألة بطلان التسلسل و مسألة بطلان الدَور .

الإشكالات السابقة المثارَة من قِبَل الفلاسفة و هي إشكالات ربّما تكون فنية اكثر ممّا تكون علمية على أي حال , و قد تكون ايضا إشكالات بالنظر إلى استدلال الصدّيقين إشكالات كبيرة على هذه البراهين , لكن بالنتيجة هذه البراهين بِشَكل اجمالي مقبولة و يتمكن الإنسان عن طريقها ان يَصل إلى المعتقد السليم في مسألة وجود الباري سبحانه و تعالى حتى لو كان النظر انطلاقا من الآثار , فالإشكالات السابقة التي ذُكِرتْ ايضا

يمكن ان تُثار على براهين الحُكَماء الطبيعيين و الشيء الذي يُعتبَر حسَنا في البرهان الكلامي ايضا يوجد في براهين الحُكَماء الطبيعيين .

تقريبا الكلام إلى هنا وصَل فيَبقى عندنا البحث في مسألة الفلاسفة , في مسألة المسلك الفلسفي و ما هو برهان الفلاسفة على وجود الباري سبحانه و تعالى . قلتُ طائفة من الفلاسفة . و هُم الاغلب . قالوا لا برهان على الباري سبحانه و تعالى و إنّما الباري يَدُلّ على ذاته بِذاته و اعتبَروا البراهين المتقدمة براهين إنّية , و قُلنا البرهان الإنّي البرهان الذي يبدأ من المعلول و ينتهي بالعلّة , و البرهان إذا كان بِهذا النحو في بعض مراتبه لا يوَلِّد اليقين , لا يكون يقينياً من وجهة منطقية او من وجهة فلسفية , على أي حال , فَقالوا انّ الباري لا برهان عليه و إنّما يَدُلّ على ذاته بِذاته , و أمّا البراهين التي أُقيمَتْ عليه في كتُب الفلسفة _ أما البراهين التي أقيمت عليه في كتب الفلسفه فَهي لم تكُن قائمة عليه بالذات و إنّما قائمة عليه بالعرَض و لا نريد ان ندخل في هذا البحث لأنّني كما قلت في ليلة البارحة نحن لَسنا بِصَدد دراسة فلسفية و التعمّق في كل المسائل الفلسفية و إنّما نحن نتعرَّض للمطالب الفلسفية بِشَكل موجز لأجل الإطّلاع الإجمالي عليها , بالنتيجة هُم هكذا قالوا _ قالوا لا برهان على الباري و إنّما يَدُلّ على ذاته بِذاته و ما أُقيم من البراهين في كتُب الفلاسفة فَهو لا يَدُل على الباري بالذات و إنّما بالعرَض , يعني براهين عرَضية و ليست ذاتية .

لكن بالجملة هناك طائفة من الفلاسفة اقاموا الدليل الفلسفي , و حتى الطائفة الاولى لم تكُن قد انكرَتْ هذا الدليل غاية ما في الآمر اختلَفوا في توجيه الدليل و اختلَفوا في صوَر تقريره _ و الفلاسفة اختلَفوا في صورة هذا الدليل الذي ينطلق من الوجود , ينطلق هذا الدليل من الوجود , الآن أُبيِّن لك كلام الفلاسفة و الدليل الاصلي الموجود في كتُبهم , الذي يذكرونَهُ بِخصوص الإستدلال على وجود الباري سبحانه و تعالى .

_ فَهُم ينطلقون من الوجود يقولون : أنّ هناك وجود _ و هذا الوجود الذي حولَنا _ نحن لولا الوجود لَما تحَقّقنا _ الآن ألا اقول على نفسي انّي موجود , و هذا المنبر موجود , و هذا الجهاز موجود و انت موجود و الجدار موجود _ بالنتيجة هناك شيء موجود حولنا , تلَبّسَ بالوجود _ ظهرَ فيه الوجود , يقولون : هذا الوجود الذي حولنا إمّا ممكن و إمّا واجب _ قطعاً هناك مقدمات و بديهيات فلسفية تتحدّث عن خصائص الممكن و تتحدّث عن خصائص الواجب . لكن يقولون : هذا الوجود الذي حولنا _ هناك وجود _ هناك عدَم _ العدَم يعني اللاشيئية , يعني الذي ليس له تحَقُّق _ لكن هذا الوجود الذي حولنا , ربّما قد تقرأ في كتُب الفلاسفة انّ الوجودات ثلاثة :

_ هناك واجب الوجود لِذاته .

_ هناك واجب الوجود لِغَيره .

_ و هناك ممتَنع الوجود لِذاته .

يسمون هذه وجودات _ ممتَنع الوجود لِذاته يُسَمّونه وجود , يقصدون به الوجود الذهني لا الوجود الخارجي و إلاّ في الوجود الخارجي فقط واجب الوجود لِذاته و واجب الوجود لِغَيره و هو نحن (الممكنات) لكن ربّما في بعض كتُب الفلاسفة يقولون : أنّ الموجودات ثلاثه _ أنّ الموجودات ثلاثة : الموجود الاول : واجب الوجود لِذاته و هو الله _ الموجود الثاني : واجب الوجود لِغَيره و هو نحن . الممكنات . نحن الذين يجوز وجودنا و يجوز عدَمنا لكن الآن يُقال لنا (واجب الوجود لِغَيره) الآن وجودنا واجب بالنتيجة , أليس لنا وجود ؟ لكن لم يكُن واجبا لأجلنا و إنّما لِغَيرنا لأنّ الله ارادَ لنا الوجود فوَجبَ وجودنا حينئذ _ واجب الوجود لِغَيره _ و يقولون : ممتَنِع الوجود لِذاته _ و يقصدون بِمُمتَنِع الوجود لِذاته _ يقصدون به شريك الباري _ يقصدون بممتنع الوجود لذاته _ بالنتيجة يعني ليس موجود _ لكن لماذا يقول عنه الفلاسفة انّه موجود ؟ في الذهن , أليس هناك مفهوم لِشَريك الباري في ذهن الإنسان , بالنتيجة الوجود وجودان ,

وجود خارجي و هو هذا , الآن أليس وجودنا هذا الموجود , هذا يُقال له وجود خارجي , و في ذهن كل واحد منّا صورة عن هذا الوجود , هذه الصورة الموجودة في الذهن يُقال له الوجود الذهني , على أي حال , فَهذا الوجود الخارجي الذي حولَنا :

_ إمّا ان يكون فيه شيء واجب الوجود .

_ إمّا ان يكون فيه شيء ممكن الوجود .

لأنّه إذا قُلنا انّ كل هذه الاشياء ممكنة , بالنتيجة نحن لا نفكّر بالتفكير السَفسطائي فَننكِر هذه الاشياء , هذا وجود واقعي بالنتيجة _ المُنصِف لا يُنكره , هذه الاشياء الموجودة , إذا قُلنا ربّما يأتي احَد فيَقول : ربّما تكون هذه كل الموجودات ممكنة , كل ما في الوجود ممكن , إذا كان كل ما في الوجود ممكن ؟ يا ترى مَن الذي اوجَدَ هذا الممكن ؟ لأنّ الممكن بِحاجة إلى علّة .

لأنّنا إذا جئنا فدَرسنا الممكن , درَسنا خصائص الممكن , نَجد انّ الممكن له خصائص , هذه الخصائص في هذا الممكن : انّه يمكن ان يوجَد _ يمكن ان يُعدَم _ يعني هناك مَن سبّبَ له الخروج من العدَم إلى الوجود _ هذا الذي سبّبَ الخروج له من العدَم إلى الوجود هو نفسُه _ إذن هو سبَقَ وجودَه _ إذا كان هو نفسُه سبّبَ لِنَفسه الوجود فَهو كان سابقا لِوجوده _ فَلماذا يوجِد نفسَهُ مرة ثانية ؟ إذا كان هو نفسُه سبّبَ وجودَهُ , اصبحَ سابقا لِوجوده , إذا كان سابقا لِوجوده فَلماذا اوجدَ نفسَهُ مرة ثانية ؟ موجود حينئذ _ فإذن ليس هو الذي اوجَدَ نفسه . لا بد ان اوجدَهُ شيء آخر _ هذا الشيء الآخر ممكن ؟ إذا كان ممكن يا ترى مَن الذي اوجدَهُ ؟ من الذي _ و هل يبقى الممكن مُتوَقِّف على الممكن ؟ لا يمكن هذا و لذلك مسألة توَقّف الممكنات يضربون لها مثل _ الفلاسفة يقولون : الآن لو مجموعة من الرياضيّين _ الآن أليس في العاب الساحة و الميدان مجموعة من الرياضيين مثلا _ مجموعه من الرياضيين يريدون ان ينطلقوا , يركضوا , كل واحد اخذَ مكانَه _ كل واحد أخذ مكانه و أُطلِقَتْ الإطلاقة لكن

هؤلاء هكذا قرَّروا فيما بين انفسهم _ كل واحد يقول انا ما اركض حتى يركض فلان , ما يركضون حينئذ , لِنَفرض هُم خمسة : الاول يقول انا ما اركض حتى يركض فلان _ و الثاني يقول _ و هذا يقول انا ما اركض حتى يركض هذا _ يعني احَدُهم يتوَقّف ركضُه على ركض الآخر , حينئذ لا يوجد ركض _ حينما يتوَقّف هذا الشيء _ لا بد ان يوجد هناك دافع آخر خارِج عن هذه القضية _ الدافع الآخر هي هذه الإطلاقة _ الإطلاقه لإنّهم هكذا إذا ما ثارَتْ الإطلاقة يركضون , أمّا إذا بَقوا هكذا كل واحد يتوَقّف على ركض الثاني لا يركضون حينئذ , يعني هذا المثال يُقَرّب المعنى و إنْ كانت الامثلة تُقَرِّب من جهة و تُبَعِّد من جهة , و إنْ كان في نظر الفلاسفة الإتيان بالأمثلة المادية في دراسة المطالب الفلسفية شيء مَعيب , لأنه يبقى _ لكن نحن لَسنا الآن في دراسة فلسفية , بالنتيجة نحن نتناول مطالب مقتضَبة من الفلسفة , و إن كان الفلاسفة يستعينون بِهذه لكن من جهة نظرية , يقولون الإتيان بالامثلة المادية في دراسة المطالب الفلسفية شيء مَعيب , لماذا ؟ لأنّ ذهن الطالب , ذهن الدارِس حينئذ سيَتعوَّد , سيَستأنِس بالمعاني المادية و الحال المطالب الفلسفية مطالب عقلية , يعني لا بد لِذهن الطالب , لِذهن الدارِس ان يستأنس بالمعاني العقليه , بالمطالب العقلية و ليس بِهذه الامثلة المادية لكن بالنتيجة هذا المثال يُقرِّب المعنى .

_ فالممكنات : لا الممكن بِنَفسه يوجِد نفسَه لأنّه سيَكون سابقا لِوجوده و هذا لا يمكن _ ولا الممكن _ إذن لا بد من شيء خارِج عن هذه الممكنات هو الذي سبّبَ وجودَها _ هو الذي سبب وجودها , و هذا الشيء الخارِج لا بد ان لا يكون مُتّصِفا بأوصاف الممكنات لأنّ الممكن بِحاجة إلى علّة , لا بد هذا الشيء الذي هو خارج الممكنات ان يكون هو العلّة الحقيقية _ و لا بد ان تكون هذه العلّة هي العلّة الكاملة و حينئذ هذا الذي اخرَجَ الممكنات هو واجب الوجود بِنَفسه .

_ أمّا إذا قُلت ممكن فَحينئذ يقَع الكلام إمّا في الدَور و إمّا في التسلسل و لذلك صدر المتألهين , هذا البرهان في كتاب (الاسفار) نفس _ قلت الفلاسفة حينما اورَدوا هذا البرهان و سَمّوا هذا البرهان ببرهان الصدّيقين _ سَمّوا هذا البرهان ببرهان الصديقين و خلاف _ فعلا هو هذا برهان الصدّيقين ؟ هو لأنّه الصدّيقون هكذا : يستَدلّون بِذاته على ذاته .

_ فهَل هو هذا استدلال بالذات على الذات ؟ بعضٌ قال نعم _ بعضٌ قالَ لا _ و خلاف بين الفلاسفة لكن هو هذا برهانُهم المشهور , يعني الفلاسفة اشهر براهينهم هو هذا الذي ذكَرتُه و إلاّ البراهين الاخرى التي يذكرونها إمّا تكون براهين كلامية و إمّا تكون براهين كَبَراهين الحُكَماء الطبيعيين و إمّا تكون براهين الإنطلاق من الآثار إلى المؤثِّر , يعني الإنطلاق من النفوس إلى الآفاق .

_ ربّما البعض اشارَ إلى برهان انّه من عرفَ نفسَه فقد عرفَ ربَّه , و هذا خلاف في معنى الحديث (مَن عَرِفَ نفسَهُ فقد عرفَ ربَّه) يا ترى هذا برهان ؟ يعني انّ الإنسان يعرف نفسه هذه المعرفة ؟ ينظر إلى جسده , ينظر إلى روحه , ينظر إلى عقله فيَرى عجائب صنعة الله في هذا المخلوق فيَقول انّه لا بد لِهذا النظام المُتقَن من خالق , إذا كان بِهذا المعنى فَهذا كَدليل الكلاميّين , و إذا كان بالمعنى الآخر الذي يقولُه العُرَفاء انّه المراد من معرفة النفس إشراق المعاني الباطنية في نفس الإنسان , حينئذ الكلام يختلف , يكون بِشَكل آخر , نحن لا نريد ايضا ان ندخل في مثل هذه التفاصيل لكن الفلاسفة حينما ذكَروا هذا البرهان , كلّهُم , روح البراهين التي ذكَروها , هذا المعنى الذي ذكَرتُه , بيَّنتُه لك بِهذا الاسلوب المبسَّط قبل قليل , لكن كل واحد منهم صبَّهُ في قالب مُعيّن .

_ على سبيل المثال نأخذ ما ذكرَهُ صدر المتألهين في كتابه (الاسفار) و إنّما نأخذ ما ذكرَهُ صدر المتألهين باعتبار هو قُطب الفلاسفة الاكبر و باعتبار انّ كتابه (

الاسفار) من اهم الكتُب الفلسفية , الكتُب الحكَمية التي عليها مدار الدراسة و البحث و التحقيق في الفلسفة , ما ذكرَهُ في الاسفار في مسألة إثبات وجوده سبحانه و تعالى ايضا أُبَسِّطُه , لا اذكرُه بِعباراته إذ ربّما تكون عباراتُه مغلَّفَة , ما ذكرَهُ رضوان الله تعالى عليه في اسفارِه ايضا بِخصوص هذا الدليل _ بخصوص هذا الدليل :

_ قال انّه من البديهيات الفلسفية التي ثبتَتْ بالبرهان الفلسفي _ يعني هناك مقدمات ثبتَتْ بالفلسفة _ و هو انّ الوجود حقيقة بسيطة _ أن الوجود حقيقه بسيطه لكنّها مُشكَّكَة _ مقصود مُشكّكَة _ ربّما الذي درسَ المنطق منكم او درسَ مقدمات الفلسفة هذا المصطلح واضح يكون عندَه . المراد من الحقيقة المشكّكَة : _ يعني حقيقة واحدة لكن تظهر في مراتب مختلفة _ بالضبط الفلاسفة يذكرون مثال النور يقولون : مثلا الشمس أليَس فيها نور _ هذا المصباح فيه نور _ الشمعة و هكذا _ القمَر _ النار و هكذا _ هذا الذي يصدر من الشمس او الذي يصدر من الشمعة او الذي يصدر من هذا المصباح او من الشمعه _ الفانوس او من النار او من عود الثقاب _ هذا ما تعريفُه _ ما حقيقتُه ؟

_ يقولون ظاهرٌ بِنَفسه مُظهِرٌ لِغَيره _ نور الشمس حينما يصدر من الشمس هو ظاهِر بِنَفسه , يعني ليس هناك شيء اظهرَهُ , يعني لا يوجد ضوء ثاني اظهَرَ ضوء الشمس و إنّما ضوء الشمس ظاهر بِنفسه و مُظهِر لِغَيره _ ضوء هذا المصباح ظاهر بِنَفسه ايضا , نراه , و مُظهر لِغَيره _ يعني الآن لو ينطفيء , الاشياء التي نراها الآن لا نراها لأنّه ظاهر بِنَفسه مُظهر لِغَيره و كذلك نار عود الثقاب نفس الشيء لكن غاية ما في الامر انّه ظهور هذا النور بِنَفسه , شِدَّتُه ليس كَظهور نور الشمس , المقدار الذي يُظهره من الاشياء , يُنيره ليس كالمقدار الذي يُظهره نور الشمس .

_ عود الثقاب ايضا ظاهر بِنَفسه لكن ظهور نور عود الثقاب ليس كَظهور نور هذا المصباح و هكذا , بالنتيجة الآن لو نأتي بِمصابيح مختلفة في الواطية , مختلفة في

القوة الكهربائية الموجودة فيها , فَكُل مصباح يكشف عن نفسه بِمقدار من الكشف و يكشف عن دائرة مُعيّنة , فَهذا كلّه الساري في هذه الاشياء نور , كاشِف عن نفسه و كاشِف عن غيره لكنّ الشِدّة تختلف , النور هنا شديد , هنا اشَدّ , هنا ضعيف , هنا اضعَف .

فيَقولون : أنّ الوجود حقيقة بسيطة سارية في هذه الكائنات لكن غاية ما في الامر _ الله موجود , و انا موجود و انت موجود و كل شيء الآن حولَنا موجود .

_ لكن وجود الباري رتبتُه ليس كَوجودنا , و وجودنا في رُتبتهِ ليس كَوجود الحجَر و هكذا كل موجود له رُتبة , هذا ما يقصدون به انّ الوجود حقيقة مُشكَّكَة , حقيقة بسيطة مُشكَّكَة , يعني حقيقة واحدة سارية في الكائنات لكن لها مراتب .

_ برهان صدر المتألهين هو هكذا يقول : بما انّ الوجود ثبتَ في البراهين الفلسفية , حقيقة بسيطة مُشكَّكَة ؛ فَهذه المراتب في هذا الوجود مراتب ناقصة _ يعني انّ مرتبة الإنسان ناقصة _ مرتبة الحيوان ناقصة , مرتبة النبات , و هكذا _ و هذه المراتب _ هذه المراتب كلّها في حال سَعي للتكامل , هذا التكامل الذي يأتي في هذه المراتب من اين ؟ لا بد من وجود مرتبة متكاملة فاعلة لا نقص فيها , هذه المرتبة المتكاملة الفاعلة التي لا نقص فيها هي مرتبة واجب الوجود لِذاته , يعني الباري سبحانه و تعالى .

تقريبا هذا بيان مختصَر للبرهان الذي ذكرَهُ و إن كان فيه تفاصيل اخرى لكن التفاصيل الاخرى بِحاجة إلى بيان بعض المقدمات الفلسفية و يطول بنا المقام _ هذا تقريبا اهَم ما قالَهُ الفلاسفة في مسألة إثبات وجود الباري سبحانه و تعالى .

إلى هنا يكون قد اصبحَتْ عندنا صورة عن دليل الكلاميين _ عن دليل الحُكَماء الطبيعيين _ الفلاسفة الطبيعيين و عن دليل الفلاسفة الإلهيين و صورة مختصَرة كذلك عن برهان الصدّيقين , انّهم استدَلّوا بِذاته على ذاته جلَّتْ قدرتُه و تعالى شأنه الاقدس .

_ هنا يأتينا بحث في مسألة معرفة الباري :

يعني في انّ هذه الادلّة التي ذَكرناها : الدليل الكلامي او الدليل الذي ذكَرهُ الحُكَماء الطبيعيون او الدليل الذي ذكرَهُ الفلاسفة الإلهيون _ و إن كان قبل ان ادخل في هذا البحث يخطر بِبالي رواية , واقعا هذا الكلام كلُّه بِتَفاصيله و انا ذكرتُه بِشَكل مختصَر و عبارات مُغلَّفَة باصطلاحات و بِحاجة إلى مقدمات و بيانات و شروح , لكن الآن إذا ارَدنا ان نُلقي نظرة على كلمات اهل البيت في هذا الباب , في باب مسألة حدوث العالَم و في باب مسألة وجود الباري سبحانه و تعالى و في باب مسألة نقص المخلوقات , سطر واحد الآن انا اذكر لك رغم انّ الروايات التي وردَتْ بِكَثرة , و إنّما اتعمّد ان اذكر لك هذا السطر الواحد لِتَرى انّ كلام اهل البيت يختلف بالمرّة عن كلام كل احد , يبقى كلام اهل البيت فيه خصائص ثابتة لا يمكن ان توجد في كلام كل احد , لا في كلام الفيلسوف , لا في كلام الحكيم , لا في كلام المنطقي , لا في كلام المتكلّم , في أي كلام , تبقى لِكلام اهل البيت و لِعبارات اهل البيت خصوصيات واضحة و لا يتمكن الإنسان ان يحيط بِكُل ابعادها لكن يتحَسّس شيئا من نورها , شيئا من نورها الذي هو من نورهم صلوات الله عليهم اجمعين .

رواية واحدة عن الإمام الرضا , سطر واحد يمكن ان يُغنينا عن كل هذا الكلام , لَمّا سألوه عن حدوث العالَم و لَمّا سألوه عن دليل على الخالق سبحانه و تعالى , ماذا اجابَ الإمام الرضا صلوات الله و سلامه عليه قال : { إنّكَ لم تكُن ثم كُنت , و قد علمتَ انّكَ لم تكُن قد كوّنتَ نفسَك و لا كوَّنكَ مَن هو مثلُك }– سطر واحد يُغني عن كل هذه المطالب التي اشَرنا إليها :

_ إنّك لم تكُن : كل إنسان يعلم هذا من نفسه .

_ ثم كُنت : ثم كان الآن الإنسان موجود .

_ و قد علمتَ انّك ما كوّنتَ نفسك : لستَ انت الذي كوّنتَ نفسك و كل واحد يعلم .

_ و لا كوّنكَ مَن هو مثلُك : إذن مَن كوّنَك ؟ إذن كوّنكَ شيء آخر ليس مثلك و لا يُشابهُك , هو الله سبحانه و تعالى .

كلمة قصيرة , جملة قصيرة تكفي عن كل هذه الإصطلاحات و عن كل هذه العبائر و عن كل هذه الكلمات و عن كل هذه المقدمات _ دليل وجداني واقعي يَحسّهُ الإنسان في وجدانه , في واقعه : –{ انّكَ لم تكُن ثم كُنت , و قد علمتَ انّك لم تكُن قد كوّنتَ نفسك و لا كوّنكَ الذي هو مثلُك }– فإذن الذي كوّنَك هو الله سبحانه و تعالى .

على أي حال : فأعود في كلامي في مسألة المعرفة التي نتمكن ان نَصل إليها من خلال هذه الادلّة و إنْ كان هو البحث مُعَنون _ بَحثُنا كان مُعَنوَن في الادلّة التي توصِلنا إلى إثبات وجود الله سبحانه و تعالى , ذكَرنا نحن كلام الكلاميين _ ذكَرنا كلام الحُكَماء الطبيعيين و ذكَرنا كذلك كلام الفلاسفة الإلهيين _ لكن لا يعني انّ الطرُق إلى هنا و انتهَتْ _ لا يعني انّ الطرق إلى هنا و انتهَتْ _ هناك طريق آخر مذكور في الروايات , مذكور في الآيات :

_ و هو طريق الفطرة _ طريق الفطرة .

و هناك طريق آخر _ طريق آخر ذُكِر في الادعية الشريفة , ذُكِر في الروايات الشريفة و هو :

_ طريق مشاهدة القلوب :

طريق المشاهَدة , يعني هذه الطرُق التي ذكَرناها , هذه الادلّة التي ذكَرناها , هذه الادلّة تُكَلِّم العقول , دليل الكلاميين يُكَلِّم العقول , عقل نظَرَ في هذا الذي حولَه رآه مُتغيّرا و هكذا بِحَسب البيان الذي بيَّنّاه , ادلّة الحُكَماء الطبيعيين تُكَلِّم العقول , ادلّة الفلاسفة الإلهيين تُكَلِّم العقول , أمّا هناك ادلّة ليس مرتبطة بالعقول و إنّما تُكَلِّم الكيان الواقعي للإنسان , هذه الادلّة _ هناك دليل الفطرة , هذا في مطاوي حديثنا يأتي الكلام عنه ,

لكن فقط الآن ارَدتُ الإشارة إليه حتى يتبيّن عندك المعنى , انّه ليس الادلّة محصورة في هذه السبُل .

_ هناك دليل الفطرة : ربّما أأتي بِمثال يوَضِّح لك هذا المعنى _ دليل الفطرة يعني : هناك معنى موجود في نفس الإنسان , أمّا ما معنى الفطرة , شرائط الفطرة يأتي الحديث عنها ربّما في دروس آتية , الوقت ما يكفي الآن للدخول في هذا المطلب _ لكن دليل الفطرة المقصود منه : هناك معنىً موجود في باطن الإنسان _ في اعماق الإنسان _ يَحسُّه الإنسان في اعماقه , لا ربطَ له بِمسألة انّ الآثار تَدُلّ على المؤثِّر , لا ربطَ له بِمسألة حدوث العالَم اوِ مسألة قِدَم القديم او قِدَم العالَم او حدوث العالَم _ اصلا لا ربط له بِهذه القضايا , و لا ربطَ له بِمسألة ممكن او واجب الوجود .

_ هناك صوت في اعماق الإنسان _ هناك نداء في اعماق الإنسان حينما تكون نفس الإنسان ليس ملوَّثة : هذا النداء الذي هو نداء الفطرة _ الذي هو نداء الضمير المودَع في باطن الإنسان , الذي هو صوت الحق في اعماق المخلوق الإنساني , هذا النداء هو الذي يَجرُّه إلى الإيمان بِوجوده سبحانه و تعالى , لكن هذا المعنى في اصل الخلقة موجود لكن لا يتجلّى عند كل مخلوق _ في اصل الخلقة موجود هذا لكن لا يتجلّى عند كل مخلوق , نعم لماذا لا يتجلّى , لا يظهر ؟ لا بد ان ندرس معنى الفطرة و اسباب انطماس الفطرة و اسباب نورية الفطرة و الكلام خارِج عن بحثنا في هذه الليلة .....(إلى هنا ينتهي الوجه الاول من الكاسيت) .....

المير داماد _ السيّد محمّد باقر المير داماد رحمة الله عليه , ينقلون عنه انّه كان يكتب كتابا في التوحيد , عندَهُ جارية , خادمة في البيت , هذه الخادمة ترى انّ السيّد المير داماد , عندَهُ عدّة كتُب , يكتب مثلا في هذا المكان عندَهُ كتاب _ في هذا المكان عندَهُ كتاب , تراه إذا قامَ إلى هذا الكتاب _ إذا قام إلى هذا الكتاب و هو كتاب في إثبات وجود الله _ إذا قامَ إلى هذا الكتاب يهتم بِشَكل خاص , مثلا تراه انّه يقوم يُجَدِّد وضوءه

, يتطيَّب , يُسَرِّح لِحيتَه , يُمَشِّط لِحيته , يُرَجِّل , يتهيّأ بِتَهيّؤ يختلف عن سائر الكتُب الاخرى التي يُصَنّفها , يكتبها , لاحظَتْ عليه هذا الشيء عدّة مرات لكن هذه الجارية ما تدري انّه في أي شيء يكتب لكن لاحظَتْ انّ السيّد إذا قامَ لِهذا الكتاب حالُه يختلف في تصرّفاته , في جلوسه , في تناوله للكتاب و هكذا , فَصار عندها فضول سألتْ السيّد المير داماد , السيّد المير داماد من الحُكَماء المعروفين , اصلا في اصطلاح الفلاسفة يُسَمّونَهُ (المعَلِّم الثالث) المعَلِّم الاول ارسطوطاليس _ المعلِّم الثاني الفارابي _ و المعَلِّم الثالث السيّد المير داماد رحمة الله عليه _ فسَألتْ السيدّ انّه أي كتاب انت تكتُب ؟ يعني اراكَ بِحالة تختلف عن الحال الطبيعي مع الكتُب الاخرى .

قال : انا اكتُب كتاب , هذا الكتاب في إثبات وجود الله .

قالَتْ : أفي الله شَكٌ فاطرِ السماوات ؟ فالسيّد انتبَه إلى هذه العبارة و بعد ذلك تركَ الكتاب .

أفي الله شَكٌ _ هذا الكلام الذي تتكلّم به هذه الجارية هذا كلام الفطرة في باطنها _ أفي الله شَكٌ : يعني هناك شَك في وجوده سبحانه و تعالى حتى نكون نحن بِحاجة إلى إثبات و ادلّة _ هذا طريق الفطرة , و علماؤنا الكلاميون ايضا بحَثوا انّه الدليل الفطري يكفي في تحصيل المعتقدات ؟ الشيخ الطوسي و مَن ايَّدَ الشيخ الطوسي في آرائه ذهبوا إلى صحة هذا الطريق , انّ الطريق الفطري يكفي للإنسان في تحصيل معتقداته و لا يُعتبَر مُقَلِّدا _ بل الإنصاف انّ الدليل الفطري ارقى بِكَثير من هذه الادلّة التي ذكَرها الفلاسفة او غير الفلاسفة _

_ و هناك طريق آخر : طريق مشاهَدة القلوب .

_ طريق مشاهدة القلوب : هذا طريق ارباب القلوب الذين تتنوَّر قلوبهم بأنوار معرفة الله { لا تَسَعُني سماوتي و ارضي و وَسِعَني قلبُ عبديَ المؤمن } او حتى يصبح بعد ذلك .

أليس في الروايات : { قلبُ المؤمن عرش الرحمن } – حتى يصبح بعد ذلك قلب المؤمن عرشا للرحمن و هي قمّة المعرفة التي يَصل إليها الممكن الإنساني في العالَم الدنيوي _ المخلوق الإنساني في العالَم الدنيوي , قمّة ما يَصل إليه الممكن الإنساني في العالَم الدنيوي ان يكون قلبُه عرشا للرحمن .

هذه المعرفة لا معتمدة على الادلّة الكلامية و لا على الادلّة الفلسفية و إنّما عن طريق مشاهدة القلوب , ربّما البعض من الفلاسفة يُسَمّيها بالمعرفة الحضورية و مع ذلك كلام في هذا المصطلح و التسمية , الآن نحن لَسنا بِصَدد البحث في هاتَين المسألتَين , في الدروس الآتية ربّما نَقف على هاتَين المسألتَين : مسألة الفطرة _ و مسألة مشاهَدة القلوب , نَقف وقفة طويلة لكن اشَرت إليهما في هذه الليلة هذه الإشارة المختصرة حتى تكون عندك صورة واضحة انّه ليس الادلّة محصورة فقط في هذه الادلّة التي ذكَرناها و ليس الطرائق محصورة فقط في هذه الطرائق .

اعود إلى مسألة المعرفة التي نَصل إليها من خلال هذه الادلّة , من خلال هذه الادلّة او من خلال الادلّة التي سنَبحثها في مسألة وحدانية الله _ لأنّنا الآن في مبحث إثبات وجود الله _ و ذكَرنا الادلّة المذكورة بِخصوص هذا المبحث _ و سيأتينا مبحث آخر بعد هذا البحث :

_ مبحث وحدانية الله .

_ و بعد مبحث وحدانية الله يأتينا مبحث في صفات الله , في الصفات الذاتية او في الصفات الفعلية له سبحانه و تعالى و بذلك يَتُم البحث في مسألة التوحيد بِشَكل إجمالي . لأنّه اهَم المسائل في مطلب التوحيد , في مبحث التوحيد هي هذه العناوين التي ذكَرتُها لك الآن او في ليلة البارحة ايضا ذكَرتُها .

هذه الادلّة عموما توصِلنا إلى أي معرفة ؟ هذه الادلّة التي ذكَرناها : كلاميين _ حُكَماء طبيعيين _ فلاسفة على اختلاف مشارِبهم _ ادلّة الفطرة _ ادلّة مشاهَدة القلوب _ هذه الادلّة في مسألة : إثبات وجوده _ في مسألة وحدانيته .

هذه الادلّة توصِلنا إلى أي شيء ؟ توصِلنا إلى معرفة الكُنه مثلا ؟ يعني بعد العلم بِمسائل التوحيد يتمكن الإنسان ان يعرف كُنه الله ؟ لا يمكن . هذه الادلّة لا توصِلنا إلى معرفة الكُنه لأنّنا لا نتمكن من معرفة الكُنه .

لماذا لا نتمكن من معرفة الكُنه ؟

يعني هذه المسألة ايضا نبحثُها لكن بِشَكل موجز _ إذا ارَدنا ان نبحث هذه القضية من جهة عقلية _ من جهة فلسفية _ من جهة عقلية و من جهة فلسفية _ بالنتيجة نحن إذا نظَرنا إلى انفسنا _ إذا نظرنا إلى أنفسنا _ وجَدنا انّ لأنفسنا حدود مُعيّنة _ حدود ثابتة . يعني الآن القدرة الموجودة عند الإنسان مهما بلغَتْ القوة الموجودة عند الإنسان , قوة الإنسان في حمل الاثقال مثلا , قوة الإنسان في الدفاع عن نفسه أليس قوة محدودة ؟ يعني هي قوة مطلقة , يتمكن الإنسان ان يرفع كل ثَقل الآن ؟ يتمكن الإنسان ان يسير في آن واحد كلَّ الطرُق , كل الجادّات يسير ؟

بالنتيجة الإنسان محدود , محدود بَقوّة محدودة , بِجسم محدود , بأبعاد مُعيّنة , بِقُدرات جسمية مُعيّنة , بِقُدرات معنوية مُعيّنة _ فالمخلوقات محدودة و الباري مطلق لا حدود له فلا يمكن للمحدود ان يحيط بالمطلق حينئذ _ المحدود و المُقيّد _ نحن مُقيَّدون الآن , مُقيّدون بأجسامنا , مُقيَّدون بالجوع , مُقيَّدون بالعطش , مُقيَّدون بالجهل , مُقيَّدون بالخيال , مُقيَّدون بالوَهم , مُقيَّدون بالحاجة إلى المكان , مُقيّدون بالزمان , مُقيَّدون بِكُل شيء , بكل هذه القيود , هذه قيود _ هذه قيود و الإنسان طاقَتُه محدودة و سائر الموجودات ايضا علماً انّ الإنسان ما يملك من الطاقات اوسَع من غيره , فالإنسان

محدود , المحدود لا يمكن ان يسَع المطلق و لذلك لا نتمكن _ لا نتمكن أن نحيط معرفة او علما بالكُنه .

و من هنا _ يعني هذا الكلام هو نفسُه الكلام الذي يقوله الفلاسفة انّه لا برهان على الله _ لا برهان على الله : لأنّ البرهان إنّما يكون على الشيء المحدود , على الشيء المُقيَّد .

_ او حينما يقولون : أنّ الله حَدّهُ عدم الحد _ حَدّهُ عدم الحد : أي انّ تعريفه عدم التعريف _ لا تعريف لله سبحانه و تعالى .

_ و لذلك العُرَفاء يذكرون في كتُبهم : انّه لا اسم له و لا حدَّ له و لا رسمَ له و لا ذِكر له و إنّما هو غَيب الغيوب و إنّما هو العَماء الذي لا وصول له .

فَهذا المحدود لا يمكن ان يدرك المطلق _ ابداً _ هذا القدَح يمكن ان يسَع البحر ؟ لا يسَع البحر , مع انّ الامثلة _ مع أنّ الأمثلة تُقَرِّب من وجه و تُبَعِّد من وجه _ تُقَرِّب من وجه و تُبَعِّد من وجه : لأنّ القدح يأخذ جزءا من البحر لكن الإنسان لا يأخذ جزءا من الله _ لكن مرادي هنا من جهة السعَة , الامثلة حينما تُضرَب _ يؤتى _ لماذا قلتُ قبل قليل انّه في المسائل العقلية يعيبون ضرب الامثلة المادية _ لكن بعض الاحيان يضطر الإنسان لتشبيه المعاني حتى تكون واضحة لأنّ هذا نفس المثال : أنّ القدح لا يسَع البحر هو فيه عَيب _ أنّ القدح اخذَ شيئا من البحر لكنّ الإنسان لا يأخذ شيئا من الله _ القدح اخَذ شيئا من البحر و يمكن من خلال هذا الشيء يدرك كُنهَ ماء البحر _ ليس كنه ما في البحر _ لا على الاقل كنه ماء البحر _ أمّا الإنسان ما يأخذ شيئا من الله حتى يدرِك شيئا من كُنهه _ الإنسان لا يدرك كُنه الله لأنّ الإنسان مُقيَّد _ الإنسان محدود و الباري مطلق لا حدود له و لذلك قالوا _ لا برهان عليه _ لماذا قالوا لا برهان عليه ؟ قالوا لا برهان عليه : لأنّه لا حدَّ له

_ كما قالوا : أنّ حدَّهُ عدم الحد

_ و مراد انّ حدَّهُ عدم الحَد : أنّ تعريفَهُ عدم التعريف و لذلك في الادعية الشريفة : { و جعلتَ معرفتكَ بالعجزِ عن معرفَتِك _ وجعلتَ معرفتكَ بالعجزِ عن معرفَتِك }– غاية المعرفة العجزُ عن المعرفة { و جعلتَ معرفتك بالعجزِ عن معرفتك }– هو نفس المعنى : حَدّهُ عدم الحد

_ لكن من جهة فلسفية ربما قد يُقال ما المراد من انّ حدَّهُ عدم الحد ؟

_ درَستُم في علم المنطق : في مسألة الحدود و التعريفات _ أليس عندنا في علم المنطق ؛ هناك حدود تامّة و حدود ناقصة و رسوم تامّة و رسوم ناقصة _ موجود هذا البحث في علم المنطق في مسألة التعاريف : فالشيء لا يمكن ان يُعرَّف ما لم تَكُن له حدود _ ما لم تَكُن له اجزاء .

لا بد ان تكون له اجزاء : لأنّ الشيء يُعرَّف باجزائه .

_ الاجزاء في نظر الفلاسفة يُقَسِّمونها على ثلاث اقسام :

_ هناك اجزاء يُسَمّونها بالاجزاء العقلية .

_ هناك اجزاء يُسَمّونها بالاجزاء الخارجية .

_ هناك اجزاء يُسَمّونها بالاجزاء المقدارية .

هذه الاجزاء ليس موجودة في الله سبحانه و تعالى و من هنا لا نتمكن من تعريفه _ نحن نتمكن من تعريف هذه الاشياء حولَنا : نتمكن من تعريفها لأنّ فيها اجزاء _ و الاجزاء قلتُ إمّا هي عقلية _ إمّا هي خارجية _ و إمّا هي مقدارية _ إمّا عقلية _ إمّا خارجية و إمّا مقدارية .

_ اجزاء العقلية : يعني مسألة الجنس و الفصل .

_ اجزاء الخارجية : يعني مسألة المادة و الصورة .

_ و الأجزاء المقدارية : مسألة انّ الاجسام او السطوح أو الخطوط _ تقبل القسمة : إمّا في ابعاد ثلاثة _ إمّا في بُعدَين _ إمّا في بُعد واحد .

هذه القضية : تَعبتُم ظاهرا من الكلام الفلسفي و من الكلمات , الادلّة العقلية و كذا , هذه المسألة إنْ شاء الله في الاسبوع القادم , يوم السبت ابسط الكلام فيها , لا اريد ان اتشعَّب في قضية الاجزاء و كيف انّ الله ليس له جزء لكن من جهة فلسفية انّ المحدود لا يتمكن ان يسَع المطلق و ذلك انّ المطلق لا جزء له , هذه هي الاجزاء اوَضِّح معانيها إن شاء الله في الاسبوع الآتي , في يوم السبت القادم .

من جهة ثانية _ من جهة ثانية _ هناك مسألة _ هناك مسألة : مسألة فطرية عند الإنسان _ باصطلاح اهل المعرفة يُسَمّونها : الفطرة الإفتقارية في الإنسان _ باصطلاح العُرَفاء يُسَمّونها : الفطرة الإفتقارية . نحن كُنّا نتحدّث , نتمكن من إدراك الكُنه من جهة عقلية و فلسفية هذا البحث , لكن اراكم تَعبتُم من الكلام في مثل هذه المطالب , اؤجِّل الكلام إن شاء الله لِيَوم السبت .

_ أنتقل للنقطة الثانية _ هناك مسألة ثانية في قضية عدم إدراك الكُنه يرتبط بِمسألة الفطرة الإنسانية , و الفطرة الإنسانية لها مظاهر , من مظاهر الفطرة الإنسانية , المظهر الاكمل هو :

_ الفطرة الإفتقارية كما وقع في اصطلاح العُرفاء .

الفطرة الإفتقارية يشيرون إلى المعنى الذي وردَ في الآية { يا ايّها الناس انتُم الفُقَراء إلى الله و الله هو الغنيُ الحميد }– يقولون : أنّ الإنسان في داخله يعيش الإفتقار مهما بلغَ من المراتب , مهما بلَغ :

_ إن كان غنيّا : يعيش الإفتقار .

_ إنْ كان عالِما : يعيش الإفتقار .

فيما بينه _ ربّما في نظر الناس هو كامل في الجنبة المالية , في الثروة , لكن فيما بينه و بين نفسه يعرف نقصَه اين يكون , في نظر الناس عالِم يعلم كل شيء لكن فيما بينه و بين نفسه يعرف مواطن جَهله أين تقع _ يعرف عيوبَه اين تقع _ في نظر

الناس يرَونهُ اكمل الناس خلُقاً لكن فيما بينه و بين نفسه يعرف عيوبه _ الإنسان على نفسه بصيرة بالنتيجة و لو ألقى معاذيرَه

مسألة الفطرة المودَعة في باطن الإنسان _ هذه المسألة _ مسألة الفطرة الإفتقارية كما قلتُ يقَع في اصطلاح العُرَفاء { يا ايّها الناس انتُم الفُقَراء إلى الله و الله هو الغنيُ الحميد }– الإنسان يستشعر معنى الإفتقار في ذاته و هذا المعنى نتلمَّسهُ واضحا _ واضحاً في ادعية اهل البيت _ في مُناجيات اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين .

_ في مناجاة المُفتَقرين لإمامنا السجّاد صلوات الله و سلامه عليه { إلهي كسري لا يَجبرُه إلاّ لطفُك و حنانُك } – كسري لا يجبره إلا لطفك – هذا الكسر ليس بِمَعنى واحد , ليس بِمَظهر واحد , لو كنا في مقام شرح المناجاة لَبيَّنّا لك اسرار هذه المناجاة الشريفة { إلهي كسري لا يجبره إلاّ لطفُك و حنانُك }– هذا كسر الموجود بالماهية _ وجود الإنسان بأيّ شيء كُسِر ؟ كُسِرَ بِماهيته _ لأنّ نقص الإنسان في ماهيته _ أمّا جنبة الكمال في الإنسان _ بالنتيجة كل مخلوق فيه وجه من نفسه و فيه وجه من رَبِّه { ما كان من حسنة فَمَن عند رَبِّك و ما كان من سيئة فَمَن عند نفسِك }– كل مخلوق فيه وجه من رَبِّه و وجه من نفسه _ وجه المخلوق من جهة رَبِّه وجودُه _ و وجه الكمال في المخلوق _ وجه الخالق في المخلوق هو وجودُه و هو وجه الكمال _ و أمّا وجه المخلوق في نفسه هو ماهيّتُه و هو علامة النقص في المخلوق .

_ و لذلك يُعَبّرون عن الممكن ما هو ؟ ماذا ؟ أليس هو الزوج التركيبي من الوجود و الماهية .

هذا بحث فلسفي لا نريد ايضا ان ندخل فيه , في تفاصيله _ لكن وجود الإنسان كُسِرَ بِماهيته _ كَسر يعني : نَقص _ شأنية الإنسان كُسِرَتْ بالنواقص التي يحتاجها _ نواقص _ أليس خروج الفضلات من الإنسان نحو نقص للإنسان _ نعم نحو كمال من جهة لأنّ الإنسان لو لم تخرج الفضلات من عنده يصيبه الضرر _ و نحو نقص من

جهة ثانية فيما لو قيسَ بالكمال المعنوي على أي حال لا نريد ان ندخل في كل هذه التفصيلات .

لكن كَسرٌ لِشأنية الإنسان من جهة نقائصه { إلهي كَسري لا يَجبرُه } كَسرُ وجودي بِماهيَّتي و كَسرُ شأني بِنَقائصي و كَسرُ عقيدة الإنسان بالشكوك _ حينما تُثار الشكوك في قلبه _ و كَسرُ عمل الإنسان حينما يأتي الرياء _ و كَسرُ اخلاق الإنسان حينما يأتي عدم الإخلاص فيها و عدم الصدق _ و كَسرُ علم الإنسان بِجَهله و هكذا كسرُ كل شيء من حاجاته _ و كَسرُ غنى الإنسان بِفقره و كسرُ عافية الإنسان بِمَرضه _ و بِبَلائه _ و كَسرُ تمام الإنسان بِكُل نقص يعتريه { إلهي كسري لا يجبره إلاّ لطفُك } و ليس فقط هذه الانواع من الكسور في الإنسان : الكسور الماديه _ الكسور المعنوية في الإنسان مظاهرُها كثيرة : { إلهي كسري لا يَجبرُه إلاّ لطفُك و حنانُك , و فَقري لا يُغنيه إلاّ عطفُكَ و إحسانُك , و أُمنيتي لا يبلِّغْنيها إلاّ فَضلُك , و رَوعتي لا يُسَكِّنُها إلاّ أمانُك , و ذلّتي لا يُعِزّها إلاّ سلطانُك }

_ أو ما جاء في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرَفَة { إلهي كيفَ أخيبُ و أنت أمَلي , أم كيف أُهانُ و عليك مُتّكَلي , إلهي كيف أستعزُّ و أنت في الذلّة أركستَني , أم كيف لا أستعزُّ و إليكَ نسبتَني _ فأنا عَبدٌ من عبيدك نسَبْتَني _ نسبتني إليك فأنا من خَلقك _ إلهي كيف أخيب و أنت أمَلي , أم كيف أُهان و عليك مُتّكلي , إلهي كيف أستعزُّ و أنت في الذلّة أركستَني , أم كيف لا أستعزُّ و إليكَ نسبتَني , إلهي كيف لا أفتقرُ و أنت الذي في الفقراء أقمتَني , أم كيف أفتقرُ و أنت الذي بجودِك أغنيتَني }– هذا الإفتقار الموجود في فطرة الإنسان و الذي يُعَبِّر عنه العُرَفاء بالفطرة الإفتقارية _ هذا النداء موجود في اعماق الإنسان _ هذا الإفتقار هو الذي يشير إلى الإنسان انّك تبقى فقير و تبقى فقير و تبقى فقير و الغنيُ هو الله { يا ايّها الناس انتُم الفُقَراء إلى الله و الله هو الغنيُ الحميد }– يعني يبقى هذا المخلوق فقيراً _ لا يمكن ان يغتني : لأنّ

الغني الحميد هو الله _ الذي له الغنى و الذي له الحمد : غنى _ غنى في أي شيء ؟ هذه الآية حينما تتحدّث عن الغنى _ تتحدّث عن الغنى في كل شيء _ هو غنيٌ في كل شيء فَلذلك هو محمود في كل شيء لأنّ عندَه كل شيء _ لأنّ فيه كل شيء , لأنّه الكمال فَلذلك هو يُحمَد , له الحمد و له الغنى _ عبارات دقيقة _ إشارات دقيقة في الآية الشريفة _ فَلذلك الإنسان يستشعر هذا المعنى , يستشعر معنى الإفتقار , إستشعار الإنسان لِمعنى الإفتقار هذا هو الذي يجعلُه يُقِرّ بِهذا المعنى _ يُدرِك هذه الحقيقة : انّه لا يتمكن من اكتناه معرفة الله سبحانه و تعالى لأنّ ذاتَهُ تبقى مُفتَقرة و يستشعر الإنسان الإفتقار شيئا فَشيئا و الإنسان إذا ارادَ ان ينظر بِنَظر الحقيقة يستشعر هذا المعنى . معنى الإفتقار . واضحا في كل جهات حياته , فالفطرة الإفتقارية هي شاهِد آخر ايضاً _ دليل آخر على أنّ الإنسان لا يتمكن ان يحيط كُنهاً بالله سبحانه و تعالى _ هذا من جهة عقلية و من جهة فطرية .

_ و أمّا الروايات التي ربَّتْنا عن اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين _ الروايات الكثيرة الوارِدة عن المعصومين انّه :

_ إذا بلغَ الكلام إلى الله فأمسِكوا _ إذا بلغَ الكلام إلى الله فأمسِكوا لأنّه إذا تكلَّمتُم في الله سَتَتيهون

_ لا تتكلَّموا في الله فإنّ من يتكلَّم في الله سيَتيهُ تَيْها

_ كلّما ازدَدتُم فيه تفَكُّرا كلّما ازدَدتُم فيه تَحيّرا

_ إذا بلغَ الكلام إلى الله فاصمتوا _ فأمسِكوا _

لماذا ؟ الروايات تقول لأنّكم سَتَتيهون تَيْها حينئذ _ ستَضلّون ضلالا

_ إذا بلغَ الكلام إلى العرش فاسكتوا لأنّ ما فوق العرش هو الله _ الآيه تشير لا إلى ما هو فوق العرش من جهة مادية لكن تشير إلى المعنى { الرحمن على العرش استوى

}- الرواية ناظرة إلى هذا المعنى _ إذا بلغَ الكلام إلى العرش فاسكتوا عمّا فوق العرش _ حينئذ كفّوا الكلام لأنّكم حينئذ لا تدرِكون شيئا .

_ لا تُفَكِّروا في ذات الله و فَكِّروا في صفاته

لأنّ الذات لا يمكن ان تُكْتَنَه _ لا يمكن للإنسان ان يَكتنه الذات المقدسة

_ لأنّ ادَقّ ما تصوّرتُموه . كما يقول باقر العترة . فَهو من صُنعِكم _ ادَق ما تصوّرتموه , يعني : أدَق ما تريد العقول ان تبلغ في التصوّر , في الدقّة _ تريد ان تصوِّر مفهوما _ صورة عن الله : فَهذا من خَلقِكم _ هذا راجع إليكم _ يعني هذه توَهّمات , هذه خيالات _ إذ أنّ الذات الإنسانية لا تتمكن من اكتناه الذات و إنّما محراب تفكيرها في الصفات _ محراب تفكيرها

_ و مظاهر الصفات اين هي ؟ أليس في رواية صحيحة _ صحيحه الإسناد عن الإمام الصادق في الكافي الشريف { نحن الاسماء الحُسنى و الصفاتُ العُليا }-

_ أمّا في الذات الإلهية { كلّما ازدَدتُم تَفكُّرا كلّما ازدَدتُم تَحيُّرا }- لا تُفَكّروا في ذاته و إنّما فَكِّروا في صفاته و مظاهر هذه الصفات اين ؟ يعني أنّ بداية التفكير في الصفات { مَن ارادَ الله بدأ بِكُم } هناك تناسق , تناغم بين هذه المعاني و بين ما جاء في روايات اهل البيت او في زياراتهم .

على أي حال نحن في هذه الليلة لم نتمكن ان نُشبِع البحث من جميع الجهات لأنّه هناك بعض المطالب فيها جنبة فلسفية , رأيت على الإخوان التعب من ذِكرها , إنْ شاء الله في الاسبوع الآتي بِحَول الله في يوم السبت , المطالب التي طوَيتُ كشحا عنها أُعيد ذِكرها بِشَكل اكثر تفصيل مع امثلة حتى يتّضح المطلب بِحَول الله تعالى و قوّته . بالنسبة إلى يوم غد , درس القرآن إن شاء الله على رِسله و إنْ كانت الليلة الآتية ستَكون ليلة ولادة الإمام العسكري صلوات الله و سلامه عليه , ولادة والد إمام زماننا عليه السلام , و هذا من اقَل واجباتنا التي هي في اعناقنا ان نفرح مع إمام زماننا في

ليلة ميلاد ابيه , في ليلة ميلاد والدِه الاقدس , الحسن الزاكي العسكري , و على دَيدننا انّنا في ليالي المواليد نُقيم الإحتفالات , الليلة الآتية لئلا يتعطّل درسُ القرآن و بالنتيجة كلام القرآن كلامُهم و نحن في حديثنا إنّما نعتمد على آيات الكتاب و اقوالهم صلوات الله عليهم اجمعين لكن الإحتفال سيَكون في يوم الثلاثاء , في يوم الميلاد , يعني ليس كالعادة المتعارَفة عندنا في ليالي المواليد تكون الإحتفالات , يوم الثلاثاء إن شاء الله , يوم الميلاد الإحتفال مُنعَقد هنا بِميلاد الإمام الحسن العسكري صلوات الله و سلامه عليه , و حسَب ما وعدتُ الإخوان انا سابقا انّه في ليالي المواليد يعني ايام مجالس المواليد , مجالس الوفيات , لأنّ الإخوان طلَبوا منّي ان اواصل الدرس في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة و انا ما عندي وقت فعلا الآن , فوعدتُ الإخوان انّه اواصل درس شرح الزيارة الجامعة في ليالي المواليد و في ليالي الوفيات إن شاء الله , فَفي يوم الثلاثاء إن شاء الله نواصل درسنا في شرح الزيارة الجامعة من حيث انتهَينا في الليالي السابقة بِحَول الله , و الليلة الآتية درس القرآن على رِسله .

اسألُكم الدعاء جميعا و آخر دعوانا ان الحمدُ لله ربِّ العالَمين

ـ

ملاحظة :

(1) الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .

(2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فَيُرجى مُراعاة ذلك .

(و نسألُكم الدعاء لِتَعجيل الفرَج)